تحريم البغاء

عند قدماء المصريين

وحض الحكومة على إلغائه

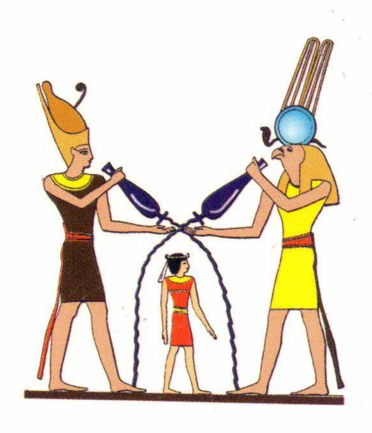


بقلم

أنطون زكري

أمين مكتبة المتحف المصري

مكتبة مدبولي



MADBOULI BOOKSHOP

مكتبة مدبولى

6 Talat Harb SQ. Tel: 5756421

٦ ميدان طلعت حرب ـ القاهرة ـ ت: ٥٧٥٦٤٢١


تحريم البغاء
عند قدماء المصريين
وحض الحكومة على إلغائه

تحريم البغاء

عند قدماء المصريين
وحض الحكومة على إلغائه

بقلم

أنطون زكي

أمين مكتبة المتحف المصري



مكتبة مدبولي

١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

MADBOULI BOOKSHOP

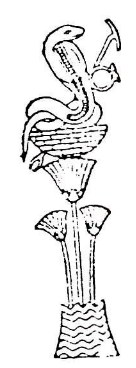
مكتبة مدبولي

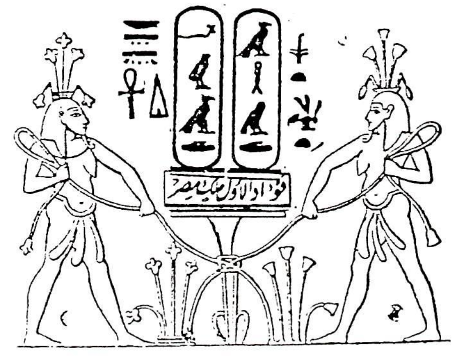
6 Talat Harb SQ. Tel: 5756421

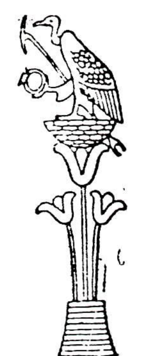
٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة - ت: ٥٧٥٦٤٢١

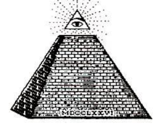
ملكنا المعظّم رافع لواء العلم في مصر









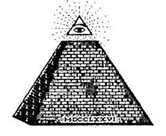




حضرة صاحب السعادة الدكتور محمد شاهين باشا

وكيل وزارة الداخلية للشئون الصحية ورئيس لجنة بحث البغاء الرسمي

المشكلة بموجب قرار مجلس الوزراء الصادر في ١٢ أبريل سنة ١٩٣٢



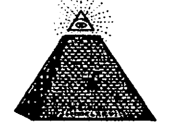
مقدمة

للنفس فى تطوراتها دوافع قهرية، فعند صفائها وطهرها تميل إلى الفضيلة والشمم، وعند انعـدام الاعتدال وعند التطوح فى الانحطاط، تكون أقرب إلى الشر وأسرع إلى الإضرار والإفساد.

تداولت أقلام الباحثين فى هذه الأيام شذرات من نفثاتهم فى هذا الموضوع الأدبى الخطيـر، وأمام اختلاف الرأى فى إلغاء البـغاء، وميل المتطرفـين إلى إبقـائه، لا بأس من لفت الأنظـار إلى نظريات وجـيزة تمهيداً للاطمئنان القويم بأن إلغاءه من مقتضيات الصالح العام، والنظام المحكم لحفظ كيان الشعوب، وصيانـة الكرامة القومية بحفظ الأنساب على الأقل.

الإنسان بفطرته دراك حساس ميـزه الله بالقوة العاقلة، التى كرّمه وفضّله بها على كثير ممن خلق تفضيلا.

فإذا تطوحت فطرته إلى النقيصة، استـباح فى سبيلها إتيان جميع تصوراته الشهوانية، فلا تردعـه شهامة النفس، ولا حقوق الآداب عن التلوث بالشائنات، فـيندفع فى سبيلها بما تسول له هـواجسه الشريرة، ويتوسع فى وسائلها غير مبـال باستنكار أو انتقاد، وهذا ما يسمى عند علماء الاخلاق بفقدان الحياء، والحياء يودعه الله فى النفوس التى أراد تكريمـها، فيـزجرها عـما لا يليق، ولهـذا جاء فى بعـض الأحاديث المأثورة : «إذا لم تستح فاصنع ما شئت».



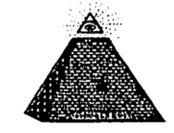
فالحياء بهذا المعنى هو السياج الرادع، والحاجز الأكبر ليصد النفس عن تطورها فى الرذائل.

والحالة الشهوانية تخرج الآدمى المنقاد لها عن الكمال اللائق ببنى الإنسان، فيقترف ما هو ألصق بالصفات البهيمية لا بذاته الشريفة.

وتتأصل داعيـة الفجور فى النفس «عند تسفلـها» وتزودها بالجرأة وعدم المبالاة، فتـسير فى هذا الانحطاط بدوافع ذميمـة، وتحبب إليها الفساد واغواء الغير عليه.

والبغاء من أشر الـصفات الممقوتة دينا ونظاما، تـنقاد إليه النفس بالحبـائل الشيطانيـة، ودوافع الغرور المقـترفة بالذهول عـن العواقب، فيجترئ الشاب أو الفتـاة على اجتذاب الآخر إليه أولاً بأقرب المؤثرات وثانيا بالانـهماك الذهنى فى ابتكار الحـيل، وثالثا باتمام الجـريمة التى أصر على اقترافها. وهنا يبتـدئ الكيان الخلقى فى الانهيار والتلاشى، وتنبـعث عند هذا الفريـق الجرئ شرور التـحريض والاغواء، وتـتسع شناعة البغاء اسـتباحة واستلذاذاً، لولاهما ما أقـدمت النفوس الشريرة عليه، ولا تناقلت آثاره سيئات العادات ووسائل الفساد.

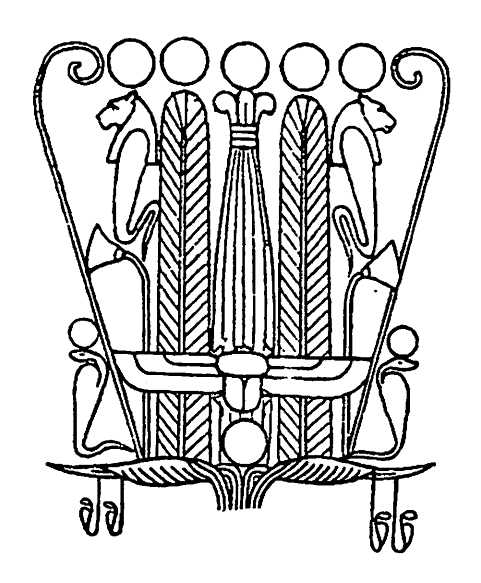
يتلخـص من ذلك أن الغـرائز غيـر القويمـة فطرية فـى النفس، وكانت تزجرها عنهـا سيطرة العدالة المهيمنة عـلى الشعوب والأقوام، وكانت الحالة الاعتدالية تشجع هذه الهيئة المسيطرة فى هيمنتها.

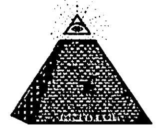


فبعد أن اتسع المجال بالهوان النفسانى إلى هذه الدائرة السحيقة، ذاعت موبقات البغاء أينما وجد الإنسان عند تغلب الصفات البهيمية على القوة النفسانية المدركة.

هذا الإيجاز يكاد أن يكون تعريفا عاما لمبادئ النشأة الفطرية للإنسان فى دور استقامتها، وكيف يطرأ عليها الشذوذ، فيخرجها من دائرة الصلاح إلى الفساد.

ولكثير من علماء المصريين القدماء مباحث دقيقة فى هذا الصدد، نقتطف منها ما يأتى، دلالة على أن الشعور الذهنى عند كافة الشعوب، يدعو إلى الفضيلة ويستنكر الرذيلة مهما اختلفت الأوضاع التشريعية والتقاليد القومية.



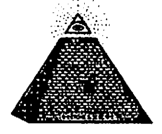


عناية الفراعنة بعفاف المرأة

قال العالم ديفور : «إن البغاء لم يعرف فى العالم، إلا بعد أن أباحت المرأة نفسها، كسلعة تتلقاها الأيدى فى الأسواق».

ومن النصوص القديمة لأهل كلديا وفنيقية وأشور، يفهم أن البغاء كان منتشراً فى المدن الشرقية الكبيرة. وأن من عامة الشعب شواذاً يميلون عند تقلب الدهر بهم إلى استباحة نسائهم للفجور. ومن بين هذه النصوص ما يؤكد أقدمية انتشاره عند بعض الطائف اليهودية الذين كانوا مهاداً للجهر بفساد الأخلاق، حتى حقت عليهم لعنات الأنبياء واستوجبوا نقمة الله، كما جاءت بذلك نصوص التوارة المتعددة، ومنها أيضا أن اليونان بافراطهم فى محبة الجمال، وتجاوزهم فى ذلك حدود التعقل الطبيعى، تفننوا فى استهواء النساء لشهوانياتهم، واستعانوا فى ذلك بأناشيد وأغانى الشعراء التى كانوا يلقنونها للعاهرات، تفانيا واسترسالا فى الإغواء، وبتمادى الوقت اقتدى بهم فى ذلك فريق الرومان الاشداء وتوسعوا فى الأساليب، حتى خصصوا له بعض الأماكن فى أقسام معينة من مدائنهم، ليكون فريق المتلاحقين بها آمنا من تعرض الناقمين عليهم.

وأما الفراعنة الأقدمون فى مصر، فكانوا بطبعهم الاحتشامى يوجهون عنايتهم ويقظتهم إلى توقير الأخلاق القويمة، حتى لا يتطرق الفساد إلى الشعب إذا تهاونوا فى هذه الوجهة. فكانت شعوبهم تدرك منهم اليقظة والغيرة فى المحافظة على الآداب، وفى اجتناب المعيبات الأخلاقية، والعناية التامة بصيانة النساء، فإنهن أقرب إلى التأثير، أن

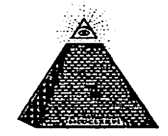


لم تحفظهن عناية الحاكم من أى مساس يؤدى بهن إلى السقوط فى المهالك.

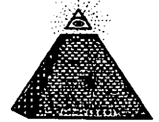
واشتهر رعمسيس الثالث أحد أولئك الملوك العظام، بأنه كان يعد نفسه كجندى أو محام، ويجاهر على الدوام بأنه يخصص كل عنايته ومجهوداته للاحتفاظ بكرامة النساء، وغرس الاحتشام فى نفوسهن، حتى يكون فيهن سليقة متينة، لا تتجاذبها الرياح بسهولة. وكثيراً ما كان يصرح لرجاله وقواده فى جميع الحفلات، بأنه لا يبيح أن تحس المرأة باضطهاد أو بامتهان، وأنه يفتخر باطمئنانها الأدبى فى عهده، فتذهب كيف شاءت، وتجتاز الطرق إلى المقاصد الشريفة، والرغائب التى تستدعيها شئون الحياة القويمة، آمنة من أن تمس بسوء حتى ولو من عيون الطير المحلق فى الهواء.

كان للمرأة المصرية بهذه النشأة عز القومية، وشمم الإباء، ووقار الصيانة، بينما النساء فى الشعوب الأخرى كان يحجر عليها فى الخدور، ويستبد بها الآباء والأقارب، كما كان يستعبدها الزوج، ويقسو عليها أبناؤها بعد موته، كأنها من أجزاء المواريث، أو بعض الدواب المحصورة فى محتويات التركة، غير متمتعة بشئ من حقوقها الإجتماعية.

فكان لمصر فى هذا العصر الافتخار الأتم بتهذيب البنات، وتعليمها علما نافعا شاملا للآداب والعقائد، ويهيؤها لأن تكون ربة



رمسيس الثالث حامى المرأة المصرية القديمة فى عهده

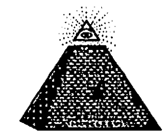


بيت، تديره بالخبرة والأمانة والعطف على بـنيها، وحسن المعاشرة بين عائلتها، وإحكام الألفـة بينها وبين زوجها فتزداد رابطتهـما متانة وقوة بتقادم العهد، لتشبعها منذ صباها بالتعاليم القويمة، ووجودها فى بيئة صالحة، تذكرها بما نـسيت من شئون الاعتدال وتعلمهـا ما جهلت من كمال التربية وحقوق العفاف.

فنشـأت تلك المـرأة المصريـة على فضـائل العـفـاف، والتقـوى والأمانة، والميل إلـى الخيرات والمبادئ الصـحيحة، يؤلمـها أن تقع فى عصمة زوج غير متصف مثلها بهـذه الصفات، ولا تسمح لها كرامتها بتدنيس جسمها أو تاريخها، بما يضاد أى شئ من هذا النظام القويم.

فى آثار المصـريين والأوراق البردية كـثير من النصـائح والحكم، ولكن قد لعـبت بها أيدى التفـريط والضياع، وعلى كل حـال فالنذر القليل الموجود منها بين أيدينا اليـوم كاف لاثبات الحقائق، الدالة على احترام مكانة المرأة فى عهد الفراعنة، وما ان لها من مجد الذات وعزة النفس.

ولما تغير كيان مصر الحكومى، تلاعبت الدول باستقلالها فى عهد سابق لألفى سنة، وتهاون الولاة الأجانب فـى شئون البلاد، وتغاضوا عما يـتعلق بصالحهـا الأخلاقى، كما هـى عادة المستعـمرين الذين لا يسرهم إلا إخضاع الشعوب، والإستغلال من طريق استرقاقهم، سواء حافظوا عـلى شئ من تقاليدهـم وعقائدهم وآدابهم، أو أضـاعوا من

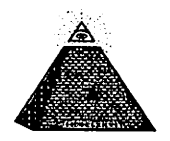


نفوسهم كل هذه المزايا، ما داموا خاضعين لنير الاستعمار، بتفريط أولئك الأجانب فى أزمتهم، وإلقائهم للنساء الحبل على الغارب، تمادت المرأة إلى الطموح، ملقية بنفسها إلى مذلة الشقاء والهوان، وطابق ذلك ميول الإستعمار، فإن من أقوى الوسائل لإذلال الشعوب وإخضاعها فقدانها الكرامة القومية، وتجردها من الفضائل التى هى الأساس الأول فى قوة الارتباط يقظه العواطف.

تدرجت البلاد بهذا السبيل إلى الإنحطاط الأدبى، وتمهد الدور إلى خرابها، وتسلط عليها الهوان فى كل شئ، حتى جعلوا للبغاء فوق الإباحة نظاما حكوميا لتأمين الزانى والزانية، بعد ما جاء فى الكتاب العزيز : «ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله».

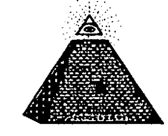
فما أبعد الشقة بين الأدوار الأليمة (فى عهد التسلط الأجنبى) التى توقع البلاد فى العار والمهالك، وبين الحكومات الوطنية الرشيدة، الحريصة جهد استطاعتها على محو كل شئ يشين سمعة البلاد، ويعطل سبيل سعادتها، فإن الحكومات الأهلية تأخذها الغيرة بكل معانيها على سعادة الأمة ووقارها، وتجديد الارتقاء والرفاهية بأقصى مجهود.

ومن الأدلة الحديثة العهد على هذا المبدأ، أنه لما تورطت مصر بتأثير الأجانب فى احداث لائحة العاهرات، واتساع هذه الهوة لمن يأوى إليها من الأسافل والجهّال، أدركت الخطر المنهك لهذا الفريق من مجموع الأمة، وأنه يعود عليها بالتألم المؤثر فى تلاشى النسل، وفساد



الأمزجة، وانتشـار الأمراض، وفتكها بين الطبقات، فـأيقظتها ضرورة اتقـاء هذه المهالك الـتى جلبت للبـلاد كل نقص وخـسران، فقـوّلت بموجب الصالح العام، ووخزات الضمائر وتيقظ الفطن لتدارك الخطر، فقررت الإصـغاء لصوت الحق بإلغـاء البغاء، وعدم اتخـاذه مهنة بين الرعاع والأسافل للارتزاق كما يزعمون، وشرعت فى استجماع الآراء للاقرار على تـعميم إلغائه بكـافة البلاد، لأن بعض النفـوس الشريرة يدفعها التطرف فى الفجور إلى وقـاحة القول بالعدول عن هذا المقصد الشـريف، فأرادت الحكومـة من باب مـقارعـة الدليل بالدليـل تأليف لجنة، ناطت بـها هذه المهـمة لبحـث أطرافها مـن كل الوجوه صـيانة للآداب، ووقايـة للصحـة، وعناية بالتناسـل، وعدم تعرض الـشعب للتـلاشى، كمـا حل ببـعض البلاد فى حـكومات أخـرى من الدول الأجنبـية، فاقـتدت الحكومة فـى تدارك الخطر بما سبـقها إليـه أولئك الرجال الـعظماء فى دولهم، (وهم أعـمق فى المدنيـة الكاذبة الأوسع مجالا لمألوفات أولى الزيغ والتطرف الجنونى فى مناصرة المفاسد).

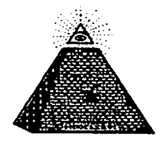
أحست الحـكومة المصرية بـسوء العاقـبة، لطول التهـاون فى هذا الأمر، وألفت اللجـنة التى عهدت إليهـا بالبحث، واستـجماع الآراء الصائبة، لتأخذ من بينها النظام الحسن للزجر عن الفساد، والعودة ولو لدرجة مـعلومة، إلى مـا كانت عليـه البلاد من اسـتقامـة الأحوال، والتـمسك بـالحيـاء والوقار والـشمم، وحـفظ العـائلات من المضـار المفهومة، وأصدرت اللجنة مطبوعات ووزعتها على الجماهير، ليوضح فيـها كل باحث أدلتـه على المنع أو الابقاء. نـعم إن هذا الأسلوب لا



تدعو إليه ضرورة الحزم فى التشريع الادارى، ولكنها أرادت كما قدمنا مقارعة الحجة بمثلها، والوقوف على اتجاه الرأى العام.

ولكونى ممن شملهم حسن الحظ بوصول بطاقة من هذا المطبوع إلىَّ، ولاتصالى بمعلومات تاريخية، عما يتعلق بهذا المبحث وأمثاله فى عصور الفراعنة، ولما كان الرجوع إلى التاريخ الموثوق به فى أمهات المسائل، مما يفيد الباحث أو المطلع، فقد دفعنى الواجب الوطنى لأن أكون فى جملة من قاموا بقسطهم فى هذه الخدمة الوطنية، ولخصت فى هذه العجالة موجزات، مما تيسر لى الاطلاع عليه من مؤلفات الأولين، تعضيداً لوجهة الصواب، واستنهاضا لهمم ولاة الأمور فى اتمام ما بدأوا فيه بأسرع ما يمكن، قبل أن تصعد الروح من التراقى التى بلغتها، فإن المريض المحتضر بعد انقضاء نفسه الأخير، لا تجدى فيه المعالجة نفعا، والجهلاء المنهمكون فى هذه السفاسف المهلكة، هم أقرب شبها بالمريض المحتضر، والمروءة تنادى الطبيب الماهر بالإسراع لحسن العلاج.





النصوص المنزلة فى تحريم البغاء

عند قدماء المصريين

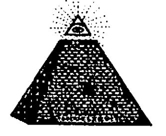
(مقتطفة من ورقة إبرس الطبية وهى أقدم كتاب فى العالم)

الكتب السماوية المتداولة الآن، كلها مجمعة على تحريم الزنا وتقبيحه، وإقامة الحدود الزاجرة على مرتكب هذه الرذيلة الضارة بالمجتمع فى الانساب والآداب والأجسام. وكل الشرائع تنذر بالويل والثبور جميع الأمم، التى تفشو فيها هذه الفاحشة، وتنذر المنغمسين فيها بسوء المنقلب.

كل الطوائف المؤمنة بهذه الكتب، على اعتقاد بأن العقاب الدنيوى، إذا لم تقم به الهيئة المسيطرة، فالعقاب الأخروى لا مناص منه ولا فرار.

لا شك فى أن هذه الكتب السماوية المحترمة، جديرة بالإجلال من جميع الشعوب المتبعين لأحكامها، ففضلها وعدالتها ليس من مقصدنا الآن إطالة البحث فى موضوعه، فضلا عن كونه من المعلومات البديهية.

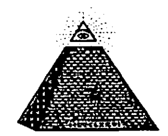
وإنما نقصد بما ننوه عنه فى شأنها أن أحكامها القويمة جاءت بها الكتب المقدسة الأخرى، فيكون الاستشهاد بطرف منها فى هذه النبذة برهانا فوق برهان، على أن البغاء مستقبح قديما وحديثا، وشذوذ بعض الأشرار لا يقبل أمام تلك النصوص المقدسة، فالجحود والإلحاد هما أيضا من أفظع المفاسد المزرية بهذا العصر.

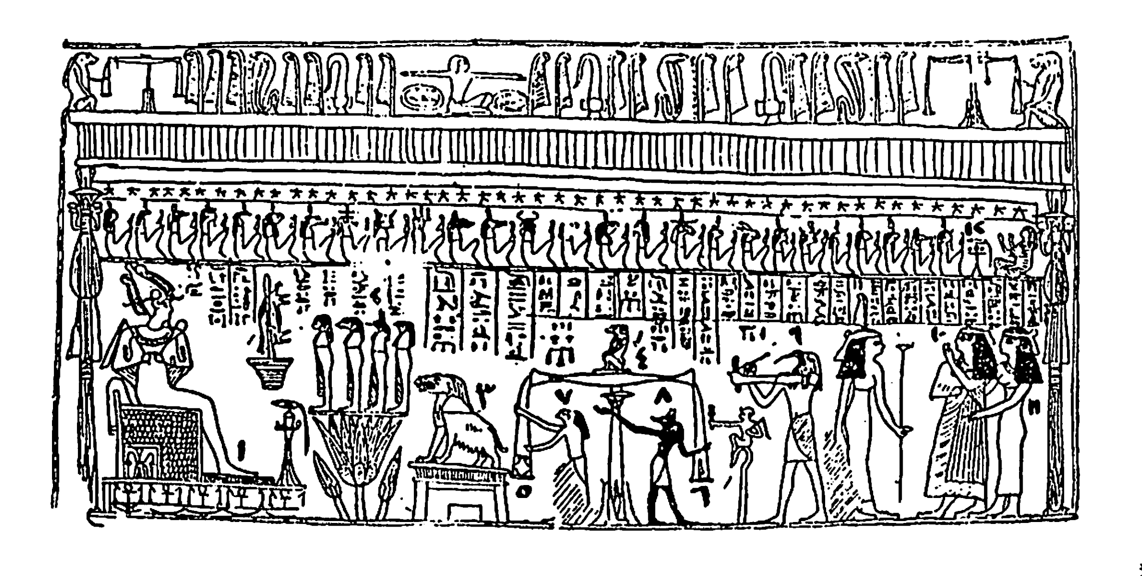


ومن الكتب التى نستأنس بنصوصـها فى موضوعنا «كتاب الموتى» الذى يعتقد قدماء المصـريين أنه من الكتب المنزلة فى العصور الأولى. ولفرط عقديتهـم فيه كانوا جميعا يتواصون بـتلاوته، وحمله للاتعاظ والاقتـداء بوصاياه، وعنـدهم الإيمان بخلـود النفس وعالم الـدينونة عـقيـدة ثابتة لا تجـهل، بل يـتوارثون الأخـذ بهـا جيـلا بعد جـيل كمعلـومات روحانية، يتلقـاها رجال الدين منهم ويرشدون إلـيها من دونهم، حتى بلغت بهم سعة العقـيدة إلى الجزم بوجوب وضع نسخه من هذا الكتاب مع الميت، لتقرأ منها روحه كل يوم بعض الأجزاء كما كان واجبا مـتبعا لديه فى حياته الأولى، وأن ذلك ينـفعه فى آخرته، ومن أجل هذا الاعتـبار سمى الكتاب المذكور «كـتاب الموتى» وهو فى واقع الأمر شامل لكثير من النصائح والوصايا الدينية الآمرة بالمعروف، والناهية عن المنكر.

وفى الفصل ١٢٥ من هذا الكـتاب تفاصيل عن محـاكمة النفس بعد الموت وتمثيل لعرض الأشخاص بـأعمالهم أمام محكمة أزوريس، وأن صاحب الذنب يجتـهد فى تبرئة نفسه، وفى مـقدمة الذنوب التى بانكارها يستمد لنفسه المغفرة تبرؤه من الزنا.

وبهذا يستدل القارئ على أن فاحـشة الزنا مستنكرة أمام الأخلاق القويمـة، وأمام الأرواح الطاهرة، وأمام الكتب الـسماوية بأجمـعها، وأنها من أفظع الـكبائر، ولذلك يبتـدئ المذنب بذكرها فى مقـدمة ما يتنصل به عن ارتكابه من الذنوب، طالبا باقراره أن ينال المغفرة.





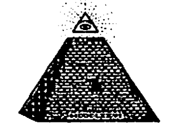
رسم محاكمة النفس بعد الموت عند قدماء المصريين منقولة من ورقة إبرس الطبية وهى أقدم كتاب فى العالم وشرحها وارد فى صفحتى ٢٠ و ٢٢. وإذا شئت الإطلاع على تفاصيلها فاقرأ كتابى «الطب والتحنيط فى عهد الفراعنة»

وإذ وصلنا فى الاستشهاد إلى ما يختص بالمحاكمة الأخروية أمام محكمة الديان أزوريس، فلا بأس من أن نلخص هنا عنها بعض الشئ، لأن هذه التفصيلات لا يستطيع أغلب الناس العثور عليها.

يرى القارئ من الصورة الخيالية «لمحكمة أزوريس» أنها كانت مؤلفة من أزوريس القاضى الأعلى (رقم ١ وحوله قضاة ٤٢ (رقم ١٢) وبين الهيئة ميزان (رقم ٤)، فى كفته اليمنى (رقم ٦) ريشة العدل رمزا للمعبودة (ماعت) ممثلة الحق، وفى الكفة اليسرى (رقم ٥) قلب الإنسان رمزاً لأعماله - ويراقبهما المعبودان حورس برأس صقر (رقم ٧) وأنوبيس برأس ابن أوى (رقم ٨) وقاضى التحقيق (الاحالة) (رقم ٩) المعبود تحوت برأس الطائر إبيس، حاملا بيديه سجلا فيه أعمال الميت فيدون نتيجة الحكم.

يقف الميت (رقم ١٠) على باب قاعة العدل، وخلفه المعبودة (ماعت) إلهة العدل (رقم ١١) ويدافع عن نفسه بإنكار ما نسب إليه. وفى جملة أقواله «إنى ياربى وإلهى لم أرتكب الفحشاء، ولم أشته إمرأة قريبى» مما يدل على فظاعة الزنا وشناعته.

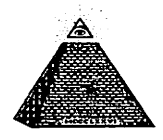
وبعد إتمامه الدفاع العلنى، يؤخذ إلى داخل المحكمة، ويناقش فى سجل أعماله أمام كل قاض على حدة.



فإذا ترجحت حسناته، فـتحت له أبواب الجنة، وأذن له بالنعيم. وإذا تغلبت سيـئاته، سلم إلى الوحش المفترس المـدعو (مم) بالمصرى القديم (رقم ٣) ونفذ عليه العقاب بادخاله إلى النار وعذابها الدائم.

والإطلاع على هـذا الإيجاز، وعلـى الصورة التـمثـيليـة. كاف لإثبات ما كان عندهم من العقيدة فى استنكار المحرمات، وأن الزنا فى مقدمتها، وأن كل إنسان يلقى جزاء عمله خيراً أو شراً، كما تشير إليه الآية الكريمة «فمن يعمل مثقـال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره».





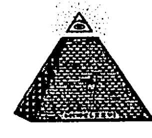
أقوال فلاسفة قدماء المصريين فى تحريم البغاء وتشديدهم العقاب على مرتكبه

ثابت أن العقل البشرى، إذا ترقى فى مراتب الإدراك والتهذيب استعذب مناهل الفضيلة، واستطاع نشر مبادئها بأقوم طرائق الحكمة والمواعظ الحسنة. وأولئك الفضلاء الملهمون بهذه المزايا، يمتازون بها فى الشعوب، وتذعن الأقوام لارشاداتهم والأخذ بمذهبهم.

ومن سعادة كل أمة أن يكثر فيها أمثالهم، يتعاونون على الثقافة الأدبية، فتسرى معلوماتهم بين الطبقات، وتحدث أثرها المشهود فى المجتمع بقدر استعداده.

وقد أمتازت الأمة المصرية بأفراد من مشاهير الأعلام، خصصوا حياتهم للإرشاد والتهذيب فكانوا خطباء نابغين، ووعاظا نافعين وفضلاء يقتدى بآرائهم وهم بنور الفطنة وسمو العقل ينطقون بالحكمة عن تكيف الوجدان بالحقائق الإيمانية. وكل ما يصدر عنهم يتلقاه الناقلون أثراً مشكوراً وكتابا مسطوراً. ومنهم حكماء أتقياء وجهوا اهتمامهم إلى سعادة الشعب بأقوم الوسائل، فأجمعوا على أن من أقومها اجتناب المحرمات، وأن أشدها فى الوزر والإجرام جريمة الزنا التى نحن بصددها، وعلى أن التبكير بالزواج كافل لقوة النسل ومانع من أمراض السيلان وتوابعها.

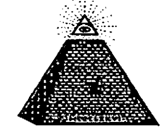
وكتب الشرائع مستفيضة بالنصوص النقلية كتعليمات مقدسة، وهى عالقة بالأذهان، ومن قبيلها ما وجد فى الأوراق البردية الأثرية،



ومن بينها كتابـان، أولهما أقدم ما استطاع الاكتشـاف العثور عليه، إذ مضى على تاريخه ٥٥٠٠ سنة أنشأه الفيلسوف (كاجمنا) الوزير الأول للملك حونى من الأسرة الثالثة، والثانـى كتاب للفيلسوف بتاح حتب وزير الملك أسى من الأسرة الخامسة، كتبه وعمره ١١٠ سنوات، وفى كليهما المواعـظ الحسنة والإرشادات النافعة، ونقتطف منـها ما يختص بجريمة البغاء:

قال «إذا إيتمنك الصديق بمقتـضى المخالطة على أسراره العائلية، ومنحك ثقـته وسـمح لك بالتردد علـى داره، فاجتنـب أمام ذلك أن يجول بذهنك أى خاطر سيئ أو يمس كرامة العائلة أو يغرى بك على خيـانتها. فـإن هذه المفاسـد تهدد فاعلهـا بالدمار، وتعـرضه للنقـمة الآلهيـة، وتحتم عليـه الجزاء الأليم. فمـس الأعراض وخيانـة الأمانة ومحـاولة الإفساد، مع من حـزت ثقته وعـول على صداقتك جـريمة كبرى يتضاعف عليها العقـاب عند الله جلت قدرته، وتؤدى للفضيحة والمقت بين الناس، لأنها إخلال بنواميس الطبيعة وخروج على نظامات الشرائع».

(ب) وتوجد بالمتحف المصرى ورقة بردية، لهـا فى التاريخ قيمتها الكبرى تعرف بـورقة بولاق، وكانت من محفوظـات المتحف المصرى حـال وجوده بـتلك الضـاحـيـة من أقسـام الـقاهـرة، وهى الآن فى محفوظات قاعـة البردى بالمتحف المصرى، وفيها من الحـكم البليغة ما



يجتذب المدارك، ويوقظ الألباب، وتاريخها يرجع إلى ٣٠٠٠ سنة، وهى للفيلسوف آنى لتلميذه خونسو حتب، ونقتطف منها الفقرة الآتية الخاصة بجريمة البغاء :

«لا تترك قلبك ألعوبة فى الميل نحو النساء، فإن ذلك يذهب بقوة دينك وعلو شرفك وأدب نفسك. فالمرأة بما أوتيت من الدهاء، وتأثير الأنوثة من أقوى حبائل الشيطان، وهى كالبحر العميق الذى لا يرحم من استهواه إلى قراره. وإذا كتبت إليك امرأة عن غياب زوجها، واستدعتك للتردد إليها بهذا السبب، فاعلم أنها تنصب لك شباك الهلاك، لأن النفس أمارة بالسوء، والموبقات طريق سحيق إلى الوبال، وغائلة المرأة لا تؤمن فى حدتها الشهوانية».

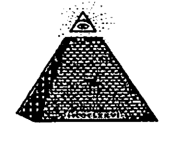
(ج) وهناك ورقة بردية أخرى شهيرة بورقة لندره، وهى الآن فى محفوظات المتحف البريطانى، تاريخها يرجع إلى الأسرة ٢٢ أى منذ ٣٠٠٠ سنة، وهى عن الفيلسوف المصرى القديم (أمنيت بن كانخت). ومن المأثور فيها عن استنكار البغاء والتحذير من عواقبه الوخيمة الفقرة الآتية :

«لا ترسل نظراتك إلى جارتك، فإن إطلاق النظر إليها، يجعلك كالذئب فى خبثه، لأن للجوار حرمة يجب الاحتفاظ بها»[1].

---

(١) وإلى هذا المعنى أشار بعض شعراء العرب فى التحدث عن عفة النفس.

واغض طرفى أن بدت لى جارتى ... حتى يوارى جارتى مأواها



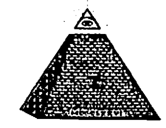
(د) وتوجد ورقة بردية رابعة تعرف بورقة (ليد) المحفوظة بمتحف ليد (وهذه بلـدة بهولاندة الجنوبية) تاريـخها منذ ٢٥٠٠ سنة تقـريبا، ومن فقراتها العبارة الآتية :

«لا تجعـل قلبك يشتـغل بمحـبة امرأة أجنـبية، فـتفـسد حيـاتك وتوقعك فـى المهالك، فأشرف الـصفات للمـرأة الجميلة توقـد العقل الزاجر لهـا عن المنكرات، والمرأة العاقلة تكون سـبباً لسعـادة زوجها، والشريرة تعرضه للفقر الدائم ونكد الحياة.

(هـ) ومن وصايا أحـد قدماء المصريـين فى التحذير من الـبغاء: «أيها الشاب إذا أحببت فتاة عذراء، فاجابتك للاقتران، فاياك أن تخون الزوجية، بعـد اتمام الصلة العائلية، التى علـى صيانتها حيـاة المجتمع ونظامه، فإذا وقعت فى هذا الجرم فقد خنت المروءة، وأغضبت الرب، وجلبت على نفسك الضرر والاحتقار».

وأمثال ذلك كثير فى هذه النفائس التاريخية. وقد أوردنا ما وسعه المقام، دلالة على أن جريمة الزنا تستنكرها بالفطرة الأذواق، والطبائع القويمة، والشرائع الحكيمة، والقوانين الوضعية فى سائر العصور.

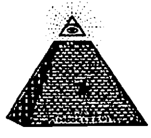
وكان قـدماء المصـريين يشددون العـقاب على الزانـى، أملا فى الزجـر، ورغبـة فى الصـيانة. وممـا أورده المؤرخ ديودور الصـقلى أن قوانين المصـريين القديمة، تعـاقب من زنى بامرأة كرها بقـطع أعضاء التناسل، وأن كـان بغير إكراه فـيجلد الرجل ألف جـلدة ويقطع أنف المرأة، ويصفون هذه الموبقـة بأنها جامعة لمضار كثيـرة: الإهانة العائلية والإخلال بالنظام، وفساد الأخلاق، والتباس النسل.



(ز) وقد بلغ تخوف القوم من الوقوع فى الزنا، بعد إبرام عقد الزوجية، أن جعلوا له بعض القيود لتدوينها فى ذاك العقد بأن الزوج إذا أخل بحقوق المعاشرة أو مال إلى امرأة أجنبية، يؤدى ترضيه للزوجة مبلغا من المال، وكذا إذا خالفت الزوجة عهد الأمانة وحقوق الألفة وإخلاص الضمير تؤدى للزوج مبلغا معينا.

وهذه الاشتراطات مدنية بحتة، لا تكفى للزجر ولا تقوم بالمنع، إن لم تقترن بها عقوبات جزائية أمام هيئة دينية توبخ المخطئ وتزجر الغير عن الاقتداء به، فإن النفوس مهما جمحت تتقى شر الافتضاح وتحتاط فى منع اللائمة العلنية التى جعلتها الشرائع من أركان الزجر ومؤثراته الأولى.

فقدماء المصريين وفضلاؤهم، مهما وصفت عصورهم بالتفاوت عن رونق العصور المدنية الحاضرة وما قبلها، فهى أبلغ فى الزواجر الدينية مما عليه الحال فى التطورات العصرية الحديثة. وقد صدق الحديث المأثور : «بأن شر الأمور محدثاتها» فإليهم مرجع الفضل فى الاحتياط الكلى لحفظ المرأة من الدنس وصيانة الأخلاق من الفساد، لأن سياج الدين واحتياط التشريع والأخذ بالأسلوب الأقوم فى تقدم الشعوب واستقلالها، يحتاج نشاط المرأة وعفافها وأمانة الرجل ووقاره. فإذا اختل ركن من ذلك، فلا يرجى للشعب أن يعيش رفيع العماد، كما كانت عليه منزلة الأمة المصرية، قبل أن ترزأ بمصائب التقليد للعادات الأجنبية، وشذوذها التى يزداد بنا أضرارها كل جيل عما قبله.



ابلغ عقاب للزانى والزانية عند قدماء المصريين

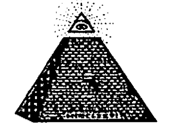
أو قصة خوفو الملك وكبير أمنائه الساحر

وقصة فيرون الملك نقلا عن هيرودوت

أحاط القارئ علما بما كانت عليه سجايا الأمة المصرية فى عصورها الأولى من الشمم والاحتشام، وأن التطور الحديث المأخوذ عن الإقتداء بالعادات الشاذة من أسافل بعض الأمم الأجنبية، جعل البلاد تهوى تدريجيا إلى مهالك التسفل الخلقى المؤدى للهلاك. الباعث على سوء الأحدوثة، وإلى فقد الحياء، وانتشار الوقاحة، حتى بلغ التشرد فى بعض النفوس الشريرة إلى المباهاة بالنقائص وعدم المبالاة فى الاستدعاء إليها. وأمامنا من الحوادث اليومية الشئ الكثير المؤلم للعواطف المزعج للطمأنينة العامة، وعلى الأخص إذا لاحظنا أن البعض من ذوى الترف واليسار، أكثر انغماسا فى هذه المزريات أما لتطوحه فيها، وإما لقصوره وتقصيره فى أن يدرأ عن نفسه كل شائن، وإما لتطرفه فى المظاهر الجنونية، بجعل المرأة راتعة فى الملاهى كيف شاءت، يرتاح إلى كل أفعالها ونزالها فى الإنحطاط إلى أقصى مداه.

تنشر الجرائد اليومية بعض الوقائع المحزنة المخزية، ثم تنطوى تلك الصحف ويعود المجرم والمجنى عليه إلى مجالسات، كان الأولى بهما بعدها سكنى القبور، لا التمتع بالمظاهر والقصور.

نذكر القصة الآتية ليتعقل منها القارئ الفرق الشاسع بين الفضائح الملموسة كل وقت، حيث لا زاجر ولا رادع، وبينما كانت عليه عزة



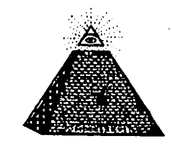
الصولة وقـوة الفتوة النفسـية فى عهد الملك خـوفو مشيـد هرم الجيزة الأكبر وكبير أمنائه الساحر. وهذه القصة مقتطفة من فقرات مدونة فى ورقة بردية مشهورة بورقة «وستكار» ومحفوظة بمتحف برلين، ويرجع تاريخها إلى الأسرة ١٢ أى منذ ٤٠٠٠ سنة تقريبا.

وخلاصة ما نقتطفة عنها ينحصر فى الآتى :

ذهب هذا الملك العظـيم الشأن، الذائع الصيت، الـقوى السطوة كعاداته المشـهورة فى شعائر البر والتقـوى إلى زيارة هيكل الأله بتاح، مصحـوبا بحاشيتـه ورجال دولته، ومن بينـها كبير أمنـائه (أبا انير). فرأت زوجـته بين المرافـقين لحاشـية الملك شابا أنـيق الطلعة، جـميل المياسم، تجمـعت فيه أنواع المحاسن، وهو فى عنفوان الـشباب، وقوة الثائـرة الآدمية، هو أيضـا من ذوى الثروة المعـدودة. ووهب حظا من افتتان النـساء به، وقد شغفـت به زوجة كبير الأمـناء، وأصرت على اجتذابه إليها واستمراره فى مودتها.

استعـانت فى إتمام ذلك بخادمـتها، فأوعزت إلـيها بمقابلتـه بعد انصراف الملك من زيارته، وأفهمته الخادمة بأن سيدتها تدعوه لزيارتها، وأنها مهدت له وأنها مـهدت الطريق فى الذهاب والإياب، ورتبت ما يستدعيه غرامها لظروف المؤانسة به كيفما شاءت وشاء لها الهوى.

أجاب الشاب هذا الطلب، لأنه كان يلقى إليها نظراته فى كل مرة رآها مع زوجهـا أثناء تأدية الملك لبـعض الزيارات أو الحفلات المـلكية الكبـرى، وما يتخلـلها من تأنق تفـوق به أمثالـها فى أساليـب الترف والدلال.

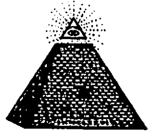


عادت الخادمة إلى سيدتها فرحـة مسرورة، وأكدت لها تلهفه إلى ما تحب منه، وأنه تسلم منها علبة الملابس والهدايا التى كانت بعثتها له مع الخادمة.

ونجحت الزوجـة فى ترتيبها، واسـتمر الشاب فى زيارتـها أوقاتا عديدة، لا يبـاليان برقيب، ولا يخـافان امتداد العـيون إليهمـا، لأنها كانت ممتعة من زوجها بقوة الثقـة، والنفوذ الواسع فى كافة التصرفات البيتية، وأحوالها الشخصية، وتغدق بالاحسان على من تشاء من الخدم ليزدادوا طاعة لأوامرها، وحرصا على استرضائها وكتمان أسرارها.

وفى ذات يوم طلب الشاب إليها أن تكون مـعه فى كشك البحيرة المسمـاة باسم زوجها، ولهـا فى المملكة شهـرة كبرى بدقـة الزخارف وأنواع الزينـة، وفى وسطها ذاك الـكشك الحاوى لكـثير مـن المخادع والأسرة الـتى تفنن فيـها الـزوج لاستجـماع لذاتـه وقت استـمتـاعه بحليلته.

أذعنت الزوجة لهذا الطلب، وأمرت ناظر البحيرة باعداد الكشك على أجمل أسلوب ورونـق، فنفذ أمرها بأسرع مـا يستطاع، وبادرت الزوجة وعشـيقها ومعـهما الخادمـة إلى البحيرة والكشك، وأنـساهما صفو الشـراب والنشوة والبهيـمة نفسيهـما، فمضى بهمـا اليوم كلمح البصر، أشرفت الشمس على المغـيب، وشرعا فى الإنصراف، وكأنها تريد الاحتـياط فى مبارحة المكان ورجـوعها إلى القصـر حتى لا يؤلم زوجها عدم وجودها فيه. وتغافل عاشقها عن ضرورة الاسراع فغطس



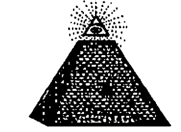
فى البحيرة بدون احتياج إلى ذلك، ولكن كأن ظروف الحوادث أذهلته عن عيون الرقباء، فرآه على هذه الحالة ناظر البحيرة، واستنكر كل ما حصل، وناجاه ضميره بالواجب عليه إخلاصا لسيده.

وفى اليوم الثانى أعلم سيده بكل ما رآه، فأمره سيده بالتأنى وعدم إذاعة الخبر وبتنفيذ الترتيب الذى سيأمره به.

وطلب كبير الأمناء من ناظر الحديقة التوجه إلى القصر، ليستحضر له منه حقيبة شرح له أوصافها، فأحضرها واستخرج منها كبير الأمناء كتاب الأرصاد السحرية، ثم صنع تمثالا من الشمع بصورة تمساح، طوله سبعة أصابع وقرأ على هذا التمثال صيغة من سحرياته، وأمر التمثال بقوله : «عند ما ترى عاشق الزوجة يموج فى البحيرة، فاجتذبه إلى أعمق مكان وأغرقه فى الماء».

وسلم كبير الأمناء إلى ناظر البحيرة هذا التمثال، وأفهمه بإلقائه فى الماء حالما ينزل إليه العاشق، وأن لا يتفوه بشئ حتى ينفذ فيه إرادته وانتقامه.

وفى اليوم التالى حضر إلى البحيرة العاشقان كعادتهما، ثم نزل الشاب إلى البحيرة، وأسرع ناظرها لإلقاء التمثال فى الماء، فاستحال التمثال حيوانا بطول سبعة أذرع وصار ذا إرادة لتنفيذ ما أوحى إليه به بقوة الساحر المار ذكره، وجذبه إلى جزء عميق واستمر به تحت الماء سبعة أيام.

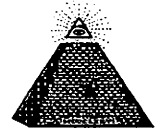


وتصادف أن الملك أراد زيارة أخـرى للهيكل وفى جملة حاشـيته ورجال دولـته كـبيـر الأمناء المذكور، فـتقـدم هذا إلى مـولاه الملك، مسترحما أن يتنازل إلى رؤية أغـرب حادث من المعجزات الكونية التى حدثت بدائرة ملكه، فـأجاب الملك برغبته فى الذهاب مـعه، ليرى ما يقصه عليه.

ولما وصلا إلى البحيرة، نادى كبيـر الأمناء التمساح، فخرج فوق ظهر الماء يحمل ذاك الشاب، وعندها أمـره بالتقدم به بين يدى الملك، فاندهش الملك لغرابـة المنظر، واستبشع شكل التمـساح، وقوة ضغطه على عنق ذاك الإنسان، وشرح كبير الأمناء تفصيل الأمر لفرعون الذى أمر التمساح بـالتهام الشاب، فذهب به التمسـاح إلى مكان مجهول، وبعدها لم يـوقف له على أثر، فكأنه نفذ فـيه عقوبة الإعـدام كاشارة الملك.

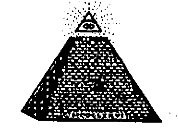
وأمر الملك بعد ذلك بإحضار زوجة كبير الأمناء إلى قصره، لينفذ فيهـا العقاب بالإحراق لخيانـتها الأمانة فى حق زوجهـا، ولكونها لم تحـتفظ لـذاتها بـكرامة وجـودها فى حـظوة الملك مع زوجـهـا أثناء التشريفات والحفلات الرسمية. وفى اليوم الثانى استحضرت وأحرقت جثتها وسحقت رماداً وألقوه فى النهر.

من هذا نستنتج أن الملك قرر إغراق الزانى وأحراق الزانية لشناعة الحادثة وغرابة أسلوبها حتى لا يجترئ أرباب الفساد من الفريقين على ما يـماثلهـا، صيـانة للكـرامة والآداب، واحـترامـا لحسن الصـلات الاجتماعية.



الساحر والتمساح (نقلا عن بتري)

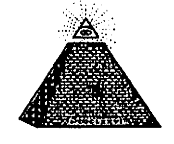
ويلـى ذلك الحـادثة الآتيـة، وهـى تدل علـى إفراط الـقـوم فى عصـورهم بالاعتقـاد فى الانتفاع مـن المرأة بكل مزاياها إذا امـتزجت العفـة بجزئيـات دمها، وامـتلأت حواسـها النفـسية بـفضائل الـطهر والنزاهة، حتى صار الطهر الخلقى عنصـراً من تكوينها، فتكاد لمداناتها من منـزلة التقـديس أن تعـطى منحـا فى الإبراء من الأسـقام وإنقـاذ الأجسام من المهالك.



وخلاصة هذه الحادثة، نقلا عن هيرودوت المؤرخ اليونانى من كتابه الثانى الفصل ١١١ كما يأتى :

«بعد موت سيزوستريس تولى ابنه فيرون، ولم يتقدم للغزو. وطغى النيل فى أوائل أيامه، فأغرق كثيراً من البلاد، واقترن ذلك بعواصف عمومية هيجت اللجج، ودمرت المبانى، فاعترته ثورة جنونية ورمى بحربته فى الماء، فأصاب عينه مرض فجائى وكُفً بصره، واستمر على هذه الحالة عشر سنوات. وفى السنة الحادية عشرة، بعث إليه الكهنة خطابا يخبرونه فيه بأن مدة عقوبته الإلهية على هذه الرعونة قد انقضت، ويمكنه أن يسترد بصره، إذا غسل عينيه ببول امرأه لم ينكشف عليها غير زوجها. فامتحن بول زوجته ثم نساء كثيرات ولم يقدر له الشفاء. وبعد اليأس أهتدى أخيراً إلى امرأة (من الخاملات الفقيرات) فاغتسل ببولها وتم شفاؤه، ثم استجمع فى مدينة «أريتروبوليس» كل من امتحنهن وأحرقهن جميعا لا تضاح الريبة فى سلوكهن، وأبقى تلك المرأة التى كانت سبب شفائه وتزوجها».

فالإفراط فى العقيدة أساغ له الاستفادة ببول امرأة تحلت نفسيتها بكل معانى الطهر والعفاف، فاقترن بها بعد إحراق زوجته، ومن كن على اتصال بها فى قصره، إيثاراً منه لفخر الانتصار للفضيلة على كل مجاملة يراعيها غيره فى توقيع العقوبات الزاجرة، لأن وجهة الحض على الصالح فى صيانة العفاف العام، أفضل بكثير من الإنقياد لسخافة المجاملة.



فساد المرأة يهدر حياتها

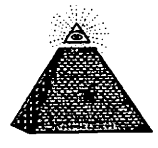
أو قصة الأخوين

مهما بلغت المـرأة الفاضلة من فضائل التهذيب ومـحاسن التعليم النافع، ومهـما وصلت استنـارتها بالمبادئ الرشـيدة، واستفـادتها من الوسط الصالـح بمزايا التقوى والاستـقامة، فإن طـبيعتهـا الأخرى فى الخلقة النوعية المستعدة بتكوينها لأعمال الشرور والفساد، لا تنزجر عن هذه النقائض بما تعلمه، وتراه عن سجايا غـيرها التى تقابلها الجماهير بالثناء والارتياح، بل إذا وجدت بيئة صالحة للشذوذ عن جادة الصواب شذت عن الفضيلة واتبعت هواها.

هذا الفريق الشـاذ لا يقدح فى كرامة الـفريق الأول، ولا ينقص من قدر المباهاة بطهارته ونزاهته.

بل كأنما أسرار المقـادير جعلت الكون يشمل المتنـاقضات، ليكون الفـريق الجديـر بالاحتـرام أكثـر وضوحـا فى الاعـتراف له بالـنزاهة والكرامة، وأحقية الاقتداء به، وتحتيم النفور عن الفريق المزدرى، الذى تقابله الأذواق القويمـة بالاحتقار وتتوعده الشرائـع بالانتقام. ومن هنا جاء المثل السائر : (وبضدها تتميز الاشياء).

ومن الأقاصـيص التاريخيـة التى هى برهان ساطع على الحـقائق التى لا تتغـير فى مختلف الأزمنة المـاضية والحاضرة ما نـشر فى ورقة بردية اشـترتهـا السـيدة (أوربينـى) بمبلغ وافـر، وهى مكتـوبة بالخط الهيراطيقـى، ثم باعتها إلى المتحف البريطـانى سنة ١٨٥٣، وتاريخها

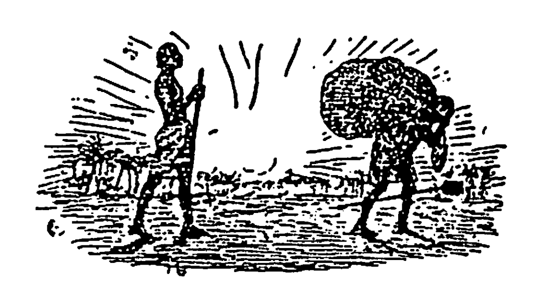


منذ ٣٠٠٠ سنة. ولأهميتهـا اعتنى بترجمتها إلى لغـات كثيرة أفاضل الكتاب الحريصين على إذاعة وتداول القواعد الأخلاقية الأدبية المنشورة فى هذه الورقة. ومن محتوياتها قصة الأخوين وخلاصتها :

* * *

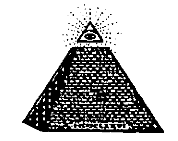
كان أخوان شقيقان أكبرهما اسمه (أنوبو) وأصغرهما (بوتو) وكان يشـتغلان فى الأعـمال الزراعـية، واسـتخراج كنـوز الأرض بواسطة مجهوداتهما وخبرتهما الفنية.

وبحكم العاطفة العائلية، كان الأخ الأكبـر يؤوى معه فى معيشته أخاه الاصغر ويعامله كابنه، وزوجة الأكبر لاحساسها من زوجها بهذه العاطفة كانت تعـتبر الأخ الصغير كابن لها، واستـمرت عائلتهم على هذا الارتباط والتآلـف والقناعة من هذه الدنيا، بما يحـصلان عليه من ثمرة الكد والترتيب والاقتصاد فى المعيشة.



يذهب أنوبو وأخوه بوتو إلى الغيط

(نقلا عن بترى)

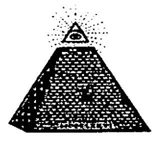


وبينـما الأخـوان فى أرض الزراعة، طـلب الأكبـر من الأصغـر التوجه إلى مـنزلهما فى القرية، ليـستحضر له بعض التـقاوى المدخرة لزراعة أرضهما، فتوجـه الأخ الأصغر إلى منزلهم، وبدخوله الغرف، رأى زوجة أخيه مشتغلة فى تزيين شـعرها كعادة النساء الريفيات وقت الفضـاء من أشغال المنـازل. ولما سألته عن سـبب حضوره مـبكراً عن الوقت المعتاد، أجابهـا إن أخاه أرسله ليستحضر له جـانبا من التقاوى النقية، فأمرته بالتوجه إلى أحد المخازن الموجودة بها المحاصيل، ليأخذ بنفسه ما يشاء حتى لا يعطل عليها إتمام الزينة لشعرها وثيابها.



زوجة انوبو تداعب (بوتو) وهو خارج من مخزن الغلال

(نقلا عن بترى)

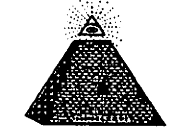


فتوجه هذا الأخ الخاضع إلى حيث أمرتـه امرأة أخيه، واستحضر حقـيبـة وملأهـا من تقاوى الحـبوب المطـلوبة. ولما همّ بالخـروج من المخزن، لحقت به وسألته فأخبرها بـكمية التقاوى وهى ثلاثة أكيال من الشعـير وكيلان من القـمح. وهنا لم تقف معه فـى الحديث إلى هذه النقطة، بل ابتـدأت على غير عادتها فـى توجيه عبارات المداعـبة مثل قولها إنه تام العضلات، حسن الخلقة، وافر القوة، نشيط فى كل شئ وقولها أننـى أتمنى الاستفادة من نشـاطك لنجلس معا بقدر مـا يسمح الوقت وأبيح لك مـنى ما يشتـاقه الشاب مـثلك، وانى مستـعدة لأن أصنع لك كثيراً من الثياب الأنـيقة دلالة على ميلى إليك، وأوكد لك بأنى أكتم عن أخيك كل شئ بحيـث لا يعلم أى حركة مما أدعوك إليه ولا بما يستمر بيننا فى المستقبل.



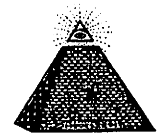
يرجع بوتو من الغيط فى المساء حاملا أدوات الزراعة

(نقلا عن بترى)



عندما سمع الأخ الصغير منهـا لكلام السمج الشاذ عن مألوفات سمعه، المنافى لإعتدال طبعه، المضاد لأمانتها فى حقوق زوجها، أظهر لها الغضب والاشمـئزاز ووبخها بلوم عنيف، وتركها مـحتقرا إياها، آسفـا على هذا الجنون، ووصل إلـى أخيه فى المزرعـة، واستـمر فى أعماله اليومية حتى اقتـرب وقت الغروب، فانصرف الآخر الأكبر إلى القرية، واستمـر الاصغر فى جمع الماشية وأدوات الزراعـة ليرجع بها إلى اسطبل المنزل كطريقتهم المعـتادة، ولم يجعل لتلك الحادثة أثرا فى نفسه وأصر على كتمانها عن أخيه، حتى لا تتكدر الصلة العائلية.

استمـر الأخ الصغير عـلى هذه السريرة الطاهرة فى نفـسه، ولم يعلم بما دبرته له زوجة أخيه الأكبر من الكيد وإيقاعه فى الهلاك. فانها بعد مبارحته إياها، قامت فى نفسها الهواجس، وظنت أنه يحيط اخاه علما بخيـانتها، فاصطنعت لنفســها دهناً وثيابا غير المألوف فـى لبسها الاعتيادى، وصـارت تتظاهر بالتأوه والضجر، فأظهـرت ضعف القوة وآلاما جسدية حتى أتى زوجها من الغيـط، فلم تستقبله بالبشاشة ولا الحفاوة المعتادة بينهما، ورأى البيت مظلما ومصابيحه لم توقد، فذهب إلى مضجعهـا على هذه الحالة مستدلا بالصوت والتـأوه على مجلسها حتى وصل إليها وابتدأ يناقشها فى مخالفتها للعادة المتبعة.



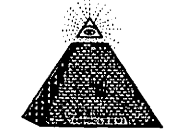


يرجع انوبو إلى منزله فيجده مظلما

(نقلا عن بترى)

عند ذلك نهضت من رقادها، وقصت عليه ما أثار غضبه ضد أخيه، وافترت عليه أنه راودها عن نفسها، فامتنعت ووبخته وهى لا ترضى الإقامة على هذه الأهانة، ومس الكرامة من شاب صغير، كانت تعامله بحنان الأم على طفلها وطلبت الانتقام لها منه، حتى تأمن على عيشتها معه بطمأنينة وصفاء، وإن لم يبادر إلى ذلك، فلا محيص لها من الانتحار تخلصا من العار.

لم يتمالك الزوج من غضبه، عندما سمع منها هذا البهتان، واعتقد صدق روايتها، وامتلأ حقداً وغضبا على أخيه، ووقف متربصا له خلف باب الدار العمومى، وبيده سكين ذات حدين ليطعنه بها عند دخوله.



فى هذه اللحظة قدم الأخ الأصغر، ومعه الماشية والأدوات الزراعية، وأحمالا من البرسيم على بعض الأبقار، وعند اقترابه من الدار، التفتت إليه إحدى البقرات، وأخبرته بأن أخاه يريد به الشر، إرضاء لزوجته فى نكايتها، ثم أخبرته بقرة ثانية بهذا الخبر المزعج.

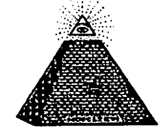
لم يكن للأخ المسكين بدٌّ من التأمل فى الأمر. فبينما هو ينظر إلى حوش الدار رأى أقدام أخيه بارزة خلف الباب، والأخ الأكبر مختبئا خلفه بالتربص التام للفتك به.



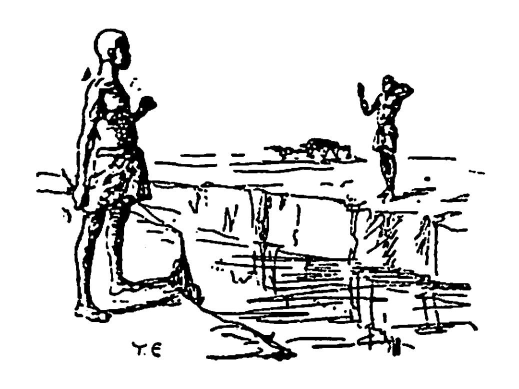
يعود بوتو إلى منزله ومعه المواشى وينتظره انوبو خلف الباب

(نقلا عن بترى)

عند ذلك هرول الأخ الأصغر للهرب، فتبعه أخوه الأكبر شاهراً السكين بيده، فازداد الأصغر سرعة فى الخطوات، حتى وصلا إلى بعض أماكن الفضاء البعيدة عن البلد.



ولما أحس بأن أخاه كاد يلحقه رفع بصره إلى السماء، وصار يستغيث بالآله (ف - رع حرمخيس) وقد أجيب دعاء هذا المسكين. صار الفضاء بينهما بحراً مملوءًا بالتماسيح. وهنا استطاع المظلوم أن يطلب من أخيه المبيت فى موقعهما، يفصل بينهما البحر المذكور حتى طلعت الشمس، وعندما شرح المظلوم قصته لأخيه مستشهداً بعدل الاله الذى أغاثه مبدئيا بإيجاد البحر والتماسيح ليكف عنه أذاه.

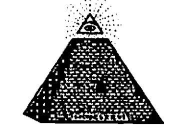


يفصل البحر بين الأخوين أنوبو وبوتو

(نقلا عن بترى)

فأذعن أخه لكلماته، وأقسم الأصغر لأخيه أنه لن يعود إلى معاشرته، لأنه صدق وشاية زوجته، ولم يستجوبه عنها، وأراد التسرع فى قتله مرضاة لها.

ثم تناول الأخ الأصغر منجلا، وقطع به إحليله، والقاه فى البحر، فابتلعه حوت، كأنما كان واقفا لذلك بالمرصاد، وهنا كأنما



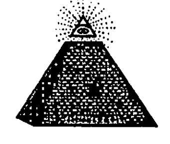
أغمى علـى الأخ الأصغر. ولمـا أفاق أقسم لأخـيه أنه سـيترك الـدنيا بحذافيرها لمن فيها، ليستريح من عالم الشقاء وسفالة الأشرار.

فـالأخ الأكبـر لما رأى أخاه علـى هذه الحالـة، وأنه لم يسـتطع الوصول إليه فـى الشاطئ الآخر لأمتلاء الفـضاء بالبحر والتـماسيح، أسف حيث لا ينفع الأسف. وهنا استطـاع الأخ الاصغر توجيه اللوم إلى أخيـه الأكبر، وطلب مه الالتـفات لأحواله، وحذره من الانـقياد لوشـاية الـنسـاء، وأمره بـالذهاب إلى داره ثـم فارقـت الروح الأخ الأصغـر، والتـحق الاخ الاكبـر بداره، وقابـل زوجتـه وقص عليـها التفاصـيل التى لم تستطع إنكارها، ثم أغـمد فيها الخنـجر الذى كان أعده لقتل أخـيه، وقطع جثتـها أجزاء وأطعمهـا للكلاب لأن الزوجة الخائنة لا تستحق الكرامة بالدفن.

وهنا أحاق المكر السيئ بأهله، ومات الأخ الصغير شهيد البهتان، وحل بالزوجة انـتقام زوجهـا العادل، ونطق لسان الوجـود بأن «على الباغى تدور الدوائر».

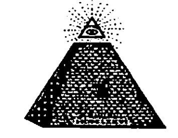
فالمرأة التى تسفلت فى النقيـصة إلى هذه الدرجة، تسببت فى أن انسانا بريئا جنى على نفسه بالموت، تخلـصا من شقاء الحياة، وتسببت فى خراب بيت زوجـها، وعرضت نفسـها للهلاك التام، ولولا مـيلها لنقيصة الزنا وخـيانة الأمانة الزوجية، لما لحق بها شئ مما جـلبته بيدها على نفسها.

وبهذا تؤثر المواعظ وتتقبلها الأذهان بالارتياح.



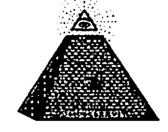
المقارنة بين المرأة الفرعونية والمرأة المتفرعنة

أدرك القارئ من التفاصيل التى أوردناها (إما نقلا عن النصوص المنزلة، والأمثال الحكيمة المأثورة عن رجال التربية، وكبار الفلاسفة، وروايات الأمثال والمواعظ) أن المرأة الفرعونية فى عصر الملوك العادلين، كانت موضع التجلة والاحترام، ومحل العناية والتوقير، لاتصافها بالإستقامة والعفة، والأمانة العامة وطهارة الأخلاق، وأنها كانت بسجاياها عضداً نافعاً فى المجتمع، تأصلت فى نفسها البغضاء للمزريات فلا تقترفها، بل تنهى الغير عن الميل إليها، وبذلك كان للحياء والاحتشام رادع مؤثر لقوة العناية من الهيئة الحاكمة فى عصر الفراعنة بالمحافظة على الآداب، محافظة يتلقاها الخلف عن السلف، تلقيا باذعان وامتثال يصون الثروة، ويحفظ النسل ويمنع المضار الجسدية. وكل ذلك من دواعى الهناء والغبطة والسعادة للأمم. فللمرأة الفرعونية فى تلك الأدوار آثرها المحسوسة والصلاحية للارشاد، والأمومة الصادقة المتشبعة بالكمالات، الحريصة على الفضيلة فكانت طبقات الفضليات بتوالى العصور، حصنا منيعا لعزة الوطن واستقلال الأمة واعتدال الهيئة الحاكمة فى تصرفاتها، حتى بهذه الدوافع حفظوا ملكهم آلافا من السنين، تقدمت فيها الصناعة والحضارة، والمدنية الصحيحة والرفاهية المقترنة بازدياد الرغد ونماء الثروة. فكان الحاكم عونا للمحكوم، والثقة القلبية بين الفريقين كانت عوامل متحدة لسعادة الأمة وخلود الملك مكينا عزيزاً.



أما المرأة المتفرعنة التى نشأت فى عصور الانحطاط، وظهور البهرجة والتوسع فى التقاليد الأجنبية، والعادات الممقوتة، والتفنن فى السخافة والملاهى والتبذير وانعدام الحياء، وفقدان التربية العائلية. فبانعكاس الأخلاق وسوء البيئة، تعد معولا لهدم الحضارة، وانهيار كيان الرقى، وأداة لتمهيد المهلكات، وإساغة النقائص، وبث المفاسد، فتلوثت النفوس واندفعت الطبائع إلى الشرور، وهى فى الأصل أقرب إليها، فزادت فى أساليبها، واستباحت إتيان المنكرات. وبعد إن كانت تعد مرذولة لا تقع إلا فى استتار، ولو فى قمم الجبال وأقاصى الأطراف، اتخذت من ضروب المباهاة، وسُهل الاستهواء إليها، حتى صارت البهرجة الحديثة كمشكاة تلفت الأبصار إلى الرذائل، وتحض على النقائص أقواما قضوا معظم حياتهم فى التباعد عنها ما استطاعوا.

بهذا الإنقلاب الخلقى وتغاضى الهيئات الحكومية عن مضاره وسوء عواقبه اندفعت الفجار والأسافل إلى تحسين كل قبيح، وتشويق كل غافل إلى التطورات السيئة، فاجترأت الجماهير على سلوك الفساد، وصاروا أسبق من الشياطين فى الدعاء إلى كل ضلالة، وبذلك استطاع الجهال بالوقاحة والتشرد النفسى أن يصموا أسماعهم عن دواعى الزجر ونصائح الارشاد، ولم يقفوا عند ذلك، بل أقاموا أنفسهم حجر عثرة فى سبيل من يسعى إلى تقويم العوج، وأمن المضلون على أنفسهم من العقوبات الرادعة، لأن الهيئات السابقة أصيبت بما أصيب به المجتمع، وصار الفساد كطوفان يعم المدن والأودية.



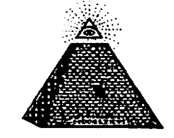
طال من الهيئة الحاكمة الإغضاء عن إقامة الحدود والتأديبات التى كفلت فى الأجيال الماضية استقامة الاحوال، حتى بلغ منها الخطأ جعل الزنا مهنة عامة كبعض المهنات المتخذة لالتماس الرزق.

أدى ذلك إلى فقدان رمق الحياء الضئيل من النفوس، واستخفاف الفجار بكل شئ. وأغرب ما فى هذا السبيل المنكر، وضع نظام لتأمين الزناة فى فجورهم من انتشار الأمراض المعدية الفتاكة فى الاجسام، التى كأنما جاءت بها الطبيعة لتكون زجراً ونذيراً، لمن أهملوا نظامات الشرائع التى كانت تعد الزنا من أفحش الجرائم وأشنع الموبقات.

المرأة التى أنغمست فى هذه الرذائل بحكم الأنوثة، وبضعف إرادتها انقادت لوسائل الفساد، وصارت كالريشة تتلاعب بها الرياح فى كل ممر.

هنا استطاب الأشرار تلك المراتع، وتمادوا فى المزيد منها بأساليب الملاهى والمسارح، وصارت الفتيات تبدأ بالعكوف عليها قبل التفكير فيما هى أشد حاجة إليه لتكون فى المستقبل القويم عماداً للعائلة، والقيام بالشئون المنزلية، وصيانة الفتيان والفتيات من المخازى المستقبحة لذاتها، حتى رأينا النشء الحديث يسبق فى ميادين الملاهى، طوائف المتخذين سلوكها بابا لارتزاقهم، فانتشرت فى القوم العادات الشائنة ما بين اشتياق نفسى إليها، وبين من يتخذونها سبيلا لاقتناص كل شاردة.

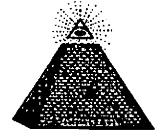
بهذه المقارنة وحدها يمكن للعاقل المنصف الاعتقاد الجازم بافضلية العصور الأولى مع ما كان يفتريه عليها المؤرخون من الخشونة والشدة



عن عصور المدنيـة المزيفة التى عمت بلواها فى أقـصر زمن، وقاومت بانتشارها كل رمق لكمال الأخلاق وصيانة الآداب.

وصارت المرأة المتفرعنة (وهى تدرك مضـار السيطرة الأجنبية على البلاد) سـلاحا يسـتعمله الخـصوم بما اسـتطاعوا من الوسـائل لازدياد اضمحلال الوطن، وفقد الأمة ثروتهـا، وخمول الاشخاص العاملين، وانعدام الـشجاعة مـن النفوس بالتـفانى الذميم فـى البهارج الحـديثة والزخارف المستنزفة للأموال من سائر الطبقات.

فلم تستطع المرأة المتـفرعنة بعد سقوطهـا فى هذا الهوان أن تكون أما صـالحة لتهـذيب أبنائهـا، ولتعويـدهم الحياة السـعيدة، والـتأهب لاجتناء الثمـرات التى أحتكرها الغير فى بلادنا بقـدر ما أحس فينا من التلاشى والـتباغض، كـأن تلك الزخارف التى بهـا عميت أبـصارنا، والبهارج التى هامت فـيها نفوسنا، هى كل مجد الحيـاة عندها وعليها تنحصـر موارد السعـادة فى ذوقها. فيـاسوء ما جاءت به الحـال، وما تهددنا به فى ظلام المآل، ونكد الاستقبال.



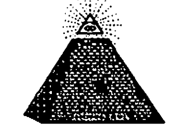
أسباب البغاء

يقولون إن الفـاقة من الأسباب الملجـئة لانتشار البغـاء، وسقوط الفتيـات فى مهالكه، إما طلبـا للرزق أو لتُجارى الفتـاة الساقطة (فى الزخـارف والملابس) من يســول لهـا الجهـل الاقتـداء بها فـى الزهو والخيلاء، لأن حب التقليد قد يعـمى المصابين به عن القناعة من الحياة بالميسور. ومن هنا جاء المثل : بأن شهوانيات النفس وأميالها الكامنة، تتغلب على الفطرة القويمة بقهر التسلط بالاسترسال والانهماك.

والرأى الصواب أن المرأة السافلة التى لهـوائها تقبل أن تكون إناء لكل والغ، يجب أن يقنعها الأحساس بانتهاج سبيل غير البغاء تنال بها الرزق اللائق بأمثالـها، فإن لم يزجرها تيقظ الاحـساس تولت زجرها الرقابة الحكومية العادلة.

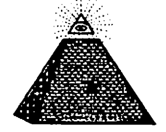
ومما يساعد على انتشار البغاء سوء التربية، لأن الطرفين السافلين من الفتـيات والفتيـان، إذا نشئا فى بيـئة منحطة، لا تعرف التـهذيب الزاجر عن النقائص، وتكون نفسيتهما مرتعا للفساد. فمن الواضح أن للنشأة العائلية التأثير الظاهر فى أفعال الخير والشر.

كمـا أن سوء الاخـتلاط بالشـواذ بين طبقـات العمـال ومن فى حكمهم، والذين تلجئهم ضرورة الإقتـصاد فى المعيشة للسكن باماكن حقـيرة، يجـتمع فى غـرفها الضـيقـة أفراد كثـيرون مع تفـاوتهم فى



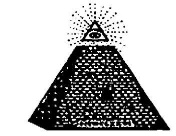
الأخلاق والـعادات والأعمـار، كل ذلك يؤدى للاسـتهتـار بالصيـانة والآداب، فتصبح وقاحـة التخاطب والمعاشرة الفاسدة طبـيعية لازمة، ومثل هؤلاء يعدون الاندفاع فى الحالة البهيمية أمراً لا حرج منه. وبعد أن يكون ذلك فى أفراد قلائل ببعض الأحياء تسرى عدواه إلى الأقرب فالأقـرب من المجتـمعات المـتماثلـة، فتنتـشر الرذائل ولا يوجـد بين المنغمسين فيها زاجر أو رادع، لأنهـم نشأوا على الجهالة، وأستحسنوا كل ما تؤدى إليه، وضـعف إشراف الهيئة المهيمنـة على هذه الطبقات فيما يقع منها تحت ستار، لا يوصل إلى الاقلاع عن المساوى.

ويدخل فى هذه المحظورات تـهاون بعض العائلات فى مـضاجع أبنائهم الصغار والكبار، وتركهم ينـامون بمكان واحد، تختلط فيه كل الأعضاء بلا حجاب ولا وقاية، وكثيراً ما تؤدى الملامسة غير المقصودة فى بادئ الأمر إلى تـعمدها، والتدرج فـيها إلى ما بعـدها. وتغاضى الآباء والأمهات عن ذلك يمكن الـفريقين بعد تلوثهما وأنغـماسها فى ذلك من الاستدامة عليه، بعكـس ما لو كانوا بمعزل عنه. (وهنا ندرك حكمة القول بأن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه). فمن كمال الصيانة والتهذيب للأطفال، والمراهقين أن يكون الأبناء فى مضاجعهم منعـزلين عن أخـواتهم البنات، كـما يجب إبعـاد الأبناء الكبـار عن أخواتهم الصغار لغرس الاحتشام بين الطرفين، الذى هو ألزم الصفات الواجبة لوقار العائلة واستقامة أفرادها.



ومن المفاسد الأخلاقية إطلاق العنان للأطفال، يترددون فى الشوارع والمجتمعات، وأماكن اللهو والمسارح ونحوها بدون رقيب يستطيع الارشاد والزجر، لأن سن الطفولة وما فى حكمها يحبب للأطفال التهافت على كل شئ سواء كان ضاراً أو نافعاً، وفى الغالب يوجد للفجور فى هذه المجتمعات أسباب تشوق إليه، فالأطفال كالسائمة إن لم تجد من يزجرها عن المرعى، أفرطت فى التهام الحشائش حتى تقتلها التخمة، أو تجعل أجسامها على الدوام ضعيفة سقيمة ويحسن أن لا يتهاون الآباء والأمهات فى ذلك. وعندما توجد ضرورة قصوى للاستعانة فى رقابة الاطفال بخدام أو خادمات، يتعين انتقاؤهم من أفراد هم أهل للأمانة وللاعتماد عليهم. فكثيراً ما تولدت بأغلاط الخدم أمراض عائلية كبرى، كان الموت لذويها خيراً من الحياة. ودقة المراقبة يجب أن تكون شديدة فى الأوقات المعتادة للفراغ من العمل، أو شهور المسامحة فى المدارس، أو أسابيع المواسم والأعياد، وأوقات خروج الطلبة من المدارس إلى منازل أهليهم، فكل هذه الظروف من السوانح المساعدة على تبادل المواعيد، والاجتماعات المفسدة والمقابلات الشائنة، وعهد الطفولة والشبيبة كما قدمنا هو المرتع الخصيب للمفاسد إن لم يوجد من يتعهد المرعى من العبث والاعتداء.

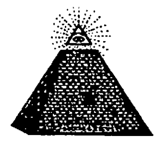
ومن الوسائل التى يقل فى الناس الالتفات إليها عدم التخير فى المجتمعات وإنتخاب ما يكون منها بعيداً عن الشبهات والعدوى



السيئة، وسواء فى ذلك المسارح والقهاوى والفنادق العمومية، وكل ما هو فى حكم المحال العمومية التى يستطيع فيها الأسافل الاستعانة بالخدم ومن فى حكمهم على تسهيل أغراضهم بأى وسيلة.

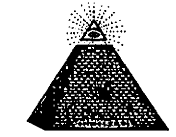
وكثير من الفتيات بعد أن يخدعها المتشردون، أو ممن يتظاهرون بخطبة صادقة شرعية من الشبان تنخدع بتأكيد أحدهم لها برغبته فى زواجها، فتبيح له منها ما أراد، على اعتقاد استمرار الصلة بينهما؛ وأن عقد الزوجية المجزوم به عندها (متى حصل) يمحو كل ما تقدمه. فبعد أن تقع فى شباك هذا المحتال، ويظهر من هذا الاختلاط حمل مستكن، يتنحى عنها الخادع الخائن، وهى لا تجد أمامها بابا تتقى به النقمة من ذويها، إلا باندماجها فى طائفة البغايا، فيكون هذا الجانى الشرير أفسدها أولا، وعرضها ثانيا لسوء الحال طوال حياتها، وهذه جريمة يجب أن يفطن إليها التشريع، ويقرر فى شأنها العقوبات الزاجرة، لأن قطاع الطرق وسلبة الأموال، ليسوا أشد ضرراً على الأمن العام من فظائعه.

وكذلك يوجد الخطأ البالغ فى إفساد أخلاق الفتيان والفتيات فى عهد الصبا، بواسطة بعض أرباب المحلات التجارية الكبيرة فى المدن، الذين يقبلون فى خدمة محلاتهم بعض البنات، ولا يلبثن بضعف الارادة، أن يتخذهن الخلطاء من المشتغلين معهن فى المحل متاعًا



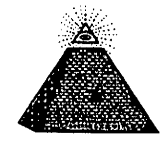
مباحا، ويتـخذون من رابطة المكان التجارى سـتاراً للابصار عن إدارك الطويات السافلة، ولا تلبث هذه الحالة أن يظهـر مستورها، فتفر ذات الحمل الثقيل إلى أماكن الخزى، وتلحق نفسها بطائفة البغايا، وأولئك يجب أن لا يكون لـلحكومة عطـف عليهم، وأن توجـب على أرباب هذه المتاجر مـلاحظة العمال فيها لمنـع الاقدام على الأخلال بالآداب، وتعريض ضعـيفات الارادة لمهلكات كن فى بدء حياتهـم ينفرن منها، وباستغواء الخلطاء تسبق عليهن الأقدار بالوقوع فى أشد الفضائح.

ومن وسائـط السوء فى هذا العـصر انتشـار طوائف ذات ظواهر مزيفة ما بين خاطبات وخائطات ومطربات وسماسرة، وبعضهم ينتحل صفات للمعالجة الخاصة بالسيدات. فأصحاب الاحتيال تحت ستار هذه المهن، يجـتذبن إلى منازلهن التـى هى مواطن فسـاد كثيرا مـن النساء والفتيـات الناشئات على طهـارة النفس وحسن الظن، وبكثـرة التردد يؤثر عليهن أصحـابها تدريجيا، حتى تألف الجاهلـة الوقوع فى فخاخ المنازل السريـة، ثم تجرأ بعد ولوجهـا بهذا الميدان على الانضـمام إلى البغايا، والتشـريع المصرى ليس فيه الاحتياط الكافى لتـوقيع العقوبات على أمثـالهن، فى إستعـمالهن ظروف الاحـتيال وإفسـاد العائلات، والواجب أن يضاف إلى قـانون العقوبات المصرى نصوص لـعقابهن، ولو بالمبادئ المقررة لجرائم إفساد الأخلاق مع التشديد فى الاحكام.



ومما لوحظ أن الجهات التى يستقـر بها بعض الجيوش، الذين هم بحكم الـنظام العـسكرى، يقضـون أيامـهم بعيـدين عن عـائلاتهم، فتلجئهم التطورات البهيمية للسعى فى إفساد من يستطعون من البائعات أو الجيران، متسلحين فى شهـوانياتهم بألقابهم الجندية، التى يجب أن يكون لها من وازع النظـام، والمراقبة القوية زاجر أقوى، لا أن يـستمر الحـال فى الـتـغـاضى عن وجـود أمـاكن سـريـة بالقـرب مـن هذه المعـسكرات، تسهـل الفسـاد على ذويه من الطـائفتـين. والواجب أن يلاحظ تصرف أفراد الجـيش فى أحوالهم الشخصيـة، حتى لا يكونوا أداة إفساد بدلا من تسميتهم جنـوداً حافظين لشرف البلاد وأهلها. فلا يصرح لغير المتـزوجين منهم بالاقامة فى مساكن تسكنـها عائلات غيرة على الشـرف، فلا يتـعرضن بواسطة وجـودهم إلى أسوء الـعواقب، والحوادث على ذلك أكثر من أن تحصى.



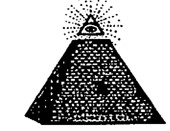


نتائج البغاء

دلت المشاهدات العمومية على أن البغاء، كما أنه مستنكر فى الديانات والأذواق القويمة، هو أيضاً مضاد لنمو الانسان، ويؤدى إلى نقص فى المواليد وازدياد فى الوفيات.

فالعاهرة التى أقامت نفسها وعاء لكل والغ، تلجئها مذلة المهنة عند إحساسها بالحمل إلى وسائل الاجهاض، فتقتل الجنين وهو لا ذنب له، وتعرض نفسها للمخاطر الجسمانية، وتشويه شبيبتها التى لا تلبث بعد نضارتها، أن تكون كمناظر الحشرات، تشمئز منها العيون أضعاف ما تستنكرها الرذائل المنغمسة فيها.

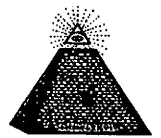
وقد لاحظت بعض الدول أن الأقاليم التى أطلق فيها العنان إلى الزناة، كاد ينقرض منها النسل بالسبب المتقدم. ولكون البعض من البغايا تتخذ الوسائل السيئة، لتجعل الرحم عقيما حتى لا يعوقها الحمل عن استدرار الأموال من الفجار، فأيقظت هذه الحوادث حكومة تلك البلاد، وأسرعت فى وضع النظامات للزجر عن البغاء وعن هذا الاحتيال، حرصا على نمو النسل الذى هو القوة المكونة للشعوب وقوة الدول، والحكومات تفتخر بكثرة الشعب لتتخذ منه حاجتها فى اعداد الجيوش، والقيام بالصنائع والمساعدة لتقدم المدنية وارتقاء العمران. فإذا كان الشعب يتلاشى بانتشار البغاء، أو بتسلط الاوبئة ونحوها فالهيئة الحاكمة قياما بواجبها تسرع لاتخاذ أسباب الوقاية والطمأنينة على كيانها، إذ لا عمران للبلدان والممالك إلا بكثرة شعوبها، وتفننها فى احتياجات التطور العمرانى.



وقـد لاحظ بعض الأطبـاء بإحـصاءاتـه الفنيـة، أن المرأة البـغى بانهماكها فى هذه الرذيلة تعتـريها الامراض المعجلة لدمارها فى أقرب وقت. وعند إلمام أى إصابة من الأمراض الخطرة لا يطول بها الأمد، وتتغلب تلك العوارض على حياتها، فتـذهب فريسة الفجور، وضحية الاضمحلال، وهما من الأمراض الأليمة فى جسم المجتمع.

من مضار البـغاء انتشار الامراض الـسرية انتشاراً مزريا بـليغاً بمن كانوا أبرياء. فكثيراً ما يصاب الفاجر السليم الجسم بالتقاط العدوى من حيث لا يشعر شغـفا بامرأة خدعته ثيابها البراقـة وزخارفها الظاهرية، فيمتص جسمه من الجراثيم ما يجعله بؤرة تنتقل منها المهالك إلى الغير وفى الأوائل عائلته، وكـثيراً ما تصاب المرأة بهذه الأمـراض على غير علم بتـماديها أو سـقوطها فى الـشهوات، فـتظهر عليـها بين عشـية وضحاهـا العوارض المنذرة بالهلاك والويـل (وغالبا يلحق النـساء عار هذه الأمراض أكثر مما يلحق بالرجال).

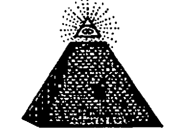
والأمراض السرية تنتقل بالملامسـة والمجالسة، وعدم الاحتياط فى نقـاوة الملابس ونظافـة الأوانى، بما فـيهـا آنية الشـراب ومشـتمـلات الأسرة، بـل وكثيـراً تحدث العـدوى بوضع ثيـاب خاصـة بمريض فى الأوانى المخصصة لملابس الأصحاء، فيصاب أفراد العائلة من حيث لا يشعرون، وتنـتقل العدوى أيضا بواسطة الخـادمات أو المراضع اللواتى



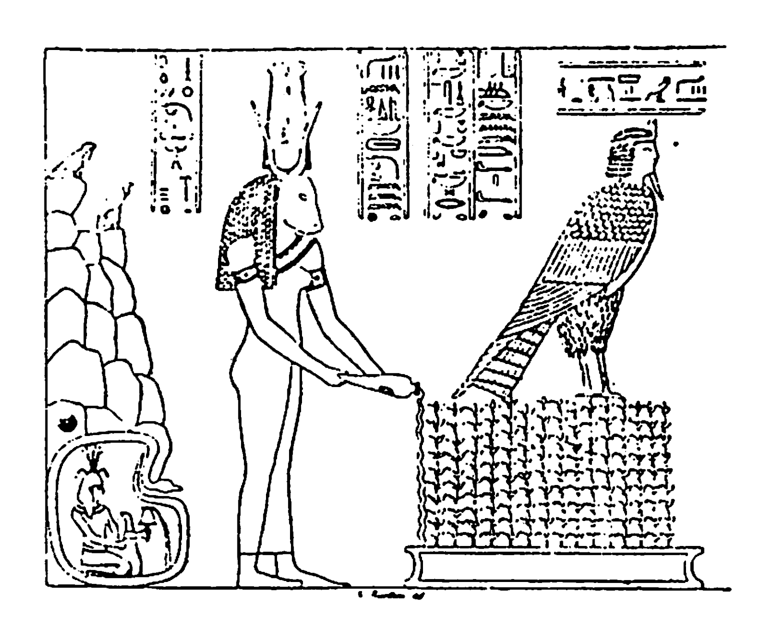
لهن اتصال كلى بربات البيوت وأطفال العائلات. فسموم كهذه الفتاكة أسرع فى الانتقــال، وفى الضرر من جراثيم الهــواء فى أزمان الأوبئة، فبدلا من مشاهدة الاصابات فى أوائل الأمر قليلة ومحصورة فى طبقة معينــة، تنتشر إلى ما بعــدها وتصاب المدائن والبلاد بــالفتك الذريع، والكل ذاهل عن الأسباب يتطلب النجاة، ولا يدرى لها سبيلا، إلا إذا قضى الله بسكون ذاك الطوفــان بعد طغيانه، فلا يــنجو إلا القليل من الناس، وهيهات هــيهات أن تبقى أجسامــهم نقية، بل كثيــراً ما تظهر عندهم العوارض فجأة، وهنا تكون الطامة الكبرى.

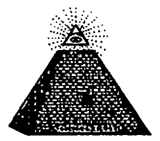
وشوهــد فى بعض الحروب أن الجــيوش الـنظاميــة تنتشــر فيــها الأمراض السرية بنسبة ٢٥ فى المائة، وهذا لسهولة اعتيادهم على البغاء فى أوقات مسامحتهم الاسبوعية.

ويترتب على إباحة البغاء تفنن الجهــلاء فى سبيله والتشجيع عليه بتناول المخدرات والمشروبــات الروحية، وكثير من الطبــقات السافلة لا يجدون من ســعة المال لديهم ما يــمكنهم مما ذكر. فبــحكم الاضطرار البهيمى يلجأون إلى جرائم السرقات ونحوها وتتبعها إرادة الانتقام من كل فريق ضد الآخر فلا يتأخرون عن القتل وسفك الدماء، هذا فضلا عن صدور هذه الجرائم مــن أشخاص يفعلونها لحب الاســتحواذ على امرأة ساقطة، أو لمنع مــزاحمة عشاقها لهــم، وأغلب حوادث الاقاليم



والمدن أيضا ناطقة بأن مسائل الفجور تؤدى فى كثير من الاحيان إلى ارتكاب الحوادث العدوانية بالانتقام والتشفى أكثر مما يعهد فى أهل البداوة من جرائم الأخذ بالثأر.





العودة إلى أسئلة الحكومة

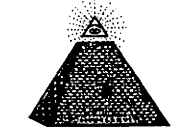
فى بحث موضوع البغاء الرسمى

(١) هل ترون إلغاء البغاء الرسمى أو إبقاءه، وما هى الأسباب التى تبنون عليها رأيكم ؟

(جـ) يجب إلغاء البغاء الرسمى محافظة على الآداب والصحة، وطهارة الأنساب واجتناب كل حوادث الشرور المترتبة على إباحته.

(٢) فى حالة الإلغاء ما هى الطرق التى تشيرون بها لمعاملة المرخص لهن الآن ؟

(جـ) البغايا الموجدات الآن المتهنات بهذه الرذيلة، لسن نباتا قذفته الرياح إلى الجهات، بل كلهن من عائلات وضيعة أو رفيعة، وغلب عليهن الشقاء فى هذا الهوان ودنست به قومها. فيجب استتابة أمثالهن وتسليمهن لمن يوجد من ذوى القربى لملاحظة حسن سير المرأة أو تزويجها. وفى حالة مخالفتها لنصائح ورغائب العائلة، تسلم إلى أماكن إصلاحية حكومية أشبه بفروع للسجون التأديبية وفيها تباشر بعض الأشغال الصناعية، وتتعلم منها ما يكفل اقتياتها بالطريق المشروع المتبع فى نظام الإصلاحيات للأحداث، ولا شك فى أن العناية بذلك تلجئهن إلى صدق التوبة، واتخاذ المهن الشريفة المساعدة للرزق عند تزوجهن ولو برجال فقراء.

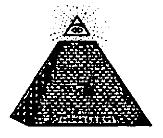


(٣) ما هى الوسائل التى تقترحونها لمكافحة البغاء السرى ؟

(جـ) تيقظ الحكومة فى مراقبـة المحلات المشبوهة، المساعدة على فسـاد الأخلاق من أية مـهنة، كالحلاقـين الذين يجـعلون بدكاكـينهم محلات لقص شعور النساء، فان الـتهافت على هذه المحلات استدعاء صريح من جـانبها إلـى النقائص، وكذا بـعض الخياطات والمخـدمات والخاطبـات والسمـاسرة، وبالجـملة فكل مكان يجـرؤ أصحـابه على اتخاذه محالا للموبقات، أو للتصيد أو للإفساد أو لإخفاء المفسوق بهن أو أى إحتيال يؤدى إلى شئ من هذه المفـاسد، ووضع قانون بعقوبات تستأصلهـا من منابتها، أى بالحبس مع الشـغل مدة لا تقل عن سنة، حتى تعود الرهبة الحكومية إلى عهدها الأول فى الصيانة والتأديب.

وأرباب المهن المـذكورة وما فى حـكمها، يـجب حصولـهم على رخصة رسـمية بمزاولة صناعتـهم على الوجه الشريـف، حتى بواسطة هذه الرخص والسجلات، التى تخصص لحصـرهم يستطاع افتقادهم، والخيـاطات تدون فى سجل عندها أسـماء من أدت لهم أعـمالا على سبيل الصدفة، والمعتادين التـردد بملبوسات للتفصيل عندها الخ. . . . عملا بالنظام المقرر للوكاندات العمومية، فإن ذلك يساعد البوليس فى تحرياته.

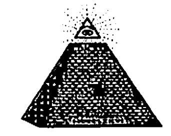
وتقريـر عقوبات للنـساء المتبـرجات فى الطرق، المتـجولات فى الأزقة والشوارع لأن فى الحالة المحزنة المتـبعة الآن من جانبهن، أقوى تحريض يرغم الشبان للتهافت عـلى المهالك. فكما يعاقب الشاب على التعرض تعاقب المرأة المتبرجة، لأن تبرجها شباك صائد.



ويسن تشريع بعقاب من يتجاوز خمسا وعشرين سنة ولم يتزوج، مع استطاعته العيش بدرجة أمثاله، اقتداء ببعض الحكومات التى فرضت ضرائب على العزاب. وعلى الحكومة تسهيلا للزواج، تكليف الأهالى بعدم المغالاة فى «الشوار» ولا فى الصداق، حتى يستطيع الأواسط تزويج أبنائهم وبناتهم بمراعاة الاستقامة، والأقتدار على التعيش، واجتناب التقيد بالثروة، أو ضخامة الألقاب غير الكافلة للبراءة من المزريات.

تشديد العقاب على كل شاب يبتدئ فى مغازلة النساء، أو يستميل البنات إلى الفساد بوعود عن الزواج، أو بمخالطة فى المسارح أو اجتماعات فى المتنزهات، حتى بيقظة الحكومة فى ذلك، تنتفى الأحوال السيئة، وتقل الفظائع التى تقشعر الأبدان منها الآن.

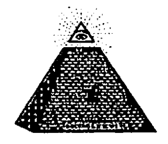
جعل التبليغ عن كل حادثة ضد الآداب والصيانة حقا عاما على كل فرد، اقتداء بوجوب التبليغ عن كل جريمة، لا أن يخصص هذا الحق بالأزواج فقط، كما أنه يجب أن لا تعفى الزانية من العقاب، إذا رضى الزوج بمعاشرتها، لأن استمرار الحال على ذلك من أشد المغريات على الفساد، وكثيراً ما يستعين بعض البغايا بزواج صورى برجال ساقطين من أمثالهم، للدفاع عنهم عند ضبطهن فى بعض أماكن المنكر، أو بعد صدور الأحكام عليهن بالإدانة، وعقاب الزوج بالاشغال الشاقة، إذا أمر زوجته بأن يفسق فيها الغير، فقد فشت هذه الحالة فى السنوات الأخيرة.



ويحسن بالحكومة فى باب ما تؤديه لصيانة الأمن والآداب العمومية، تقرير مساعدة لكل إنسان فقير، يرزق بناتاً أو أولاداً بأكثر مما تسمح بإعالته موارد رزقه، حتى يبلغوا أشدهم، فتنتفع بهم فى الأعمال العمومية، أو تلحقهم بالتجنيد الإختيارى ولا تتركهم عالة على المجتمع، ولا يكون فقر آبائهم مؤديا بهم لاقتراف الجرائم، لأن الفقر وسوء التربية يساعدان الجهلاء والفاسدين على الإخلال بالأمن.

يمنع الأغنياء أعيان الريف من ترك بلادهم ومزارعهم، ويجبرون على عدم الاعتكاف على الملاهى، والاسترسال فى الموبقات، وإفساد أخلاق الغير، بما يبذوله لوسطاء السوء فى أغراضم السافلة، ومن تتكرر منه هذه المبوقات، يحجر عليه كالذين يوصفون بالعته أو التبذير، بدافع العدل الحكومى لصيانة الثروة وحفظ الأخلاق فى مراقبة فعالة.

كثيراً ما تقدم للبوليس بلاغات عن محلات تدار للفحشاء والدعارة ولعدم وضع إمضاء المشتكين عليها يضرب عنها صفحا، طبقا لتعليمات قديمة من الداخلية والحكمدارية، وأصحاب الشكوى يتحاشون ذكر أسمائهم، حتى لا يضطدهم جيران السوء، خصوصا عندما تصادفهم أحكام البراءة، والواجب أن يتقبل البوليس هذه البلاغات، للتحرى عن صحة ما بها، وتقديم المدانين فيها للمحاكمة، وبذلك يأخذ القانون سطوته، ويأمن الجار شر جيرانه الفجار، وفى الأمثال المأثورة. كم يؤخذ الجار بذنب الجار.



تقرير مكافأة مالية من الحكومة لرجال البوليس الأمناء، الذين تقتنع المحاكم بصحة إجراءاتهم فى التحريات، وفى التطبيقات القانونية ضد كل فريق يقترف بأى وسيلة، عملا من شأنه إفساد الأخلاق، أو التستر على الموبقات، حتى بهذه المكافأة تتشجع نفوس العمال، وتصير الواجبات القانونية ملكة فى نفوسهم، ونبراسا لأعمالهم، وأمام ذلك يشدد العقاب على كل من يتهاون فى هذه الواجبات. وفى التقارير السرية عن أمثالهم الشئ الكثير.

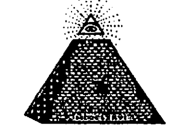
ويسن تشريع بأن لا يسكن فى بيوت العلائلات أشخاص من العزاب منعا لاحتيال الآخرين فى مآربهم الإفسادية.

(٤) ما هى الوسائل التى تقترحونها لتلافى الأمراض السرية ؟

(جـ) الإكثار من المستشفيات التى تخصص لعلاجها، ومجازاة كل من تحدث به إصابة، إذا تأخر فى التبليغ عنها، ليستطيع الطب إيقاف الأمراض فى أوائلها وتخف عن المجتمع عوارضها ومضارها السيئة.

(٥) إذا كنتم ترون إلغاء البغاء الرسمى فهل يكون ذلك تدريجيا أم دفعة واحدة ؟

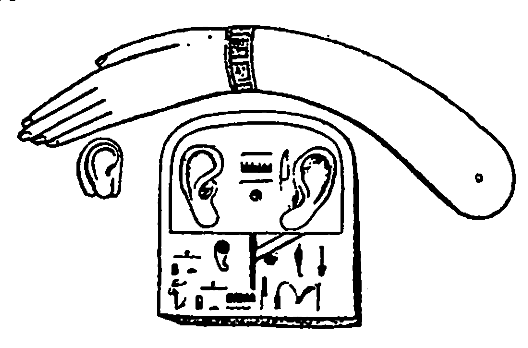
(جـ) يكون دفعة واحدة ليكون العلاج حاسما، وتأثيره تاما. وإلى هنا قد استوفى البحث حقه واتم اليراع جولته، راجيا أن ينال لدى القراء ارتياحا يشجع على استمراره فى أشرف الواجبات الجديرة بالرضاء العام.



اسمى البشائر الأدبية

من أجل ما نتيمن به لنجاح المجهودات الأدبية فى هذا السبيل أن نزف إلى حضرات قراء هذه العجالة تقرير الاقتراح الخاص بألغاء البغاء إلغاءً تاما ينطق ألسنة التاريخ بفرائض الشكر والإجلال لصاحب الجلالة مليكنا المعظم الذى فى عصره السعيد تتطهر البلاد من كل شائنة وتنهض إلى تعزيز الآداب ونشر الفضائل وتمهيد السعادة للبلاد وأهلها، تنفيذاً للرغائب السامية التى يتلقاها ويؤديها حضرات القائمين بأزمة الأعمال فى ظل مليكنا المعظم وطبقا للإرشادات السامية، فينالون بعد رضاء جلالته تمجيد التاريخ لثباتهم ومبادرتهم فيما ينطق الأفواه بالثناء عليهم، سواء فى ذلك أعضاء الهيئة الحكومية الجليلة وطبقات الباحثين من عظماء الرجال والأدباء الذين ناصروا الحقيقة بمباحثهم القويمة حتى وضح الحق لذى عينين، وأمكن للناس أن يترقبوا محو كل شائنة فى تاريخ البلاد والنهوض إلى تقويم الأخلاق جهد الاستطاعة فتسترد البلاد مجدها وأحياء الآداب والكرامة القويمة.

انطون زكرى



٦٩

فهرست الكتاب

